

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا  
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ  
يَرْفَعُهُ ﴾ .

« صدق الله العظيم »

[ فاطر : الآية ١٠ ]

بهذا الفصل نصل إلى نهاية هذه الدراسة ، التي قصدنا من ورائها إجمال فضائل الإسلام في عشرين موضوعاً اخترناها كلها من القرآن الكريم ، والحديث في فضائل الإسلام يمكن أن يمتد بنا إلى غير نهاية ، فما من خير في النفس أو في الكون ، داخل الإنسان أو خارجه ، إلا وجدناه في الإسلام ، ووجدنا في القرآن آيات بينات تؤيده بأجلى بيان ، وأظن أن فيما كتبناه من الفصول ما يكفي لإطلاع المسلمين ، وخاصة الشباب ، على الفضائل الكبرى التي يتميز بها دينهم العظيم ، ورسم طريق العزة والقوة والتوفيق أمامهم عن طريق الفهم الصحيح للقرآن ، والاستمتاع بما تضمنه آياته من عظام المعاني وروائع التعبير المحكم الصادق البليغ عن كل معنى شريف .

وإذا كنت مسلماً صحيح الإسلام ، فإنك لا بد أن تكون محزون القلب على أحوال المسلمين اليوم ، فقد أخذوا أعظم هدية أهداها الحق سبحانه وتعالى للناس ، ولم يتفعلوا بها ، وكان في إمكانهم أن يصلوا بها إلى قمة العزة والقوة

والنجاح في هذه الدنيا والآخرة ، لو أنهم صدقوا في إيمانهم وعملوا بما تتضمنه العقيدة الإسلامية من هدى رشيد ، ولكننا مع الأسف البالغ ضيعنا الجوهرة الغالية ، وقفنا بعد ذلك بالتراب .

والعجب مع ذلك أن تجد المسلمين يلقون المسؤولية في ذلك التخلف الذى هم فيه ، على الآخرين ، وقد ضمنى منذ حين مجلس دار الحديث فيه عن المستشرقين ، فتبارى القوم في الحملة عليهم ، كأنهم هم المسئولون عما تعانيه أمم الإسلام ، ولم أشترك في المناقشة لأننى أحسست أننى في واد وأصحابنا أبطال الحملة على المستشرقين في واد ، وأنا أعرف معظم ما كتب المستشرقون عن الإسلام . ولكن لا ألومهم على شيء مما كتبوه ، لأن الواقع أنهم لم يكتسبوا لى ولا لأحد من المسلمين ، ولكن لأقوامهم ، والغالبية العظمى من أهل الاستشراق لا يؤمنون بالإسلام ، وقراؤهم مثلهم ، وماداموا جميعاً كفاراً يديرون الكلام فيما بينهم ، فما شأننا بهم وبما يقولون ؟ ومادام الإنسان كافراً بالإسلام منكرأ لحقيقته فقيم نلومه ؟ وفي أكثر من آية قرآنية يأمر القرآن رسولنا ﷺ أن يدع الكفار في غيهم فما هو بمستطيع هداية إنسان واحد إلا أن يريد الله .

ولكننى ألوم المسلمين ، لأنهم إلى يومنا هذا لم ينتبهوا لفضائل الإسلام ، ولم يعرفوا كيف ينتفعون بها ، وقد رأيت أن القرآن الكريم قد حوى كل أسرار العزة والقوة للمؤمنين به ، إذا عرفوا كيف يفيدون منها كما علمهم رسول الله ﷺ ، فقد كان الرسول يعرف أن الإسلام إيمان وعلم وعمل ، والإيمان الإسلامى لا يكون صحيحاً إلا إذا كان إيجابياً أى حافزاً للمؤمن على السير فى الاتجاه السليم وإلتزام الفضائل وطلب العلم والاجتهاد فى توجيه العلم فى صالح الحياة ، وأنا عندما أقرأ تفاسير القدماء للقرآن الكريم أعجب بما بدلوا من الجهد فى تفصيل شكليات العبادات ، ولكننى أتعجب من وقوفهم عند الظواهر وتركيزهم الكلام على الشكليات ، وعبادات الإسلام قليلة ، والقيام بها على وجهها يتطلب منك

خلوص النية والصدق مع نفسك ومع الله سبحانه وتعالى ، وأنا منذ وعيت لم أقصر في حق من حقوق الله سبحانه ، ولا أذكر أن ذلك كلّفني وقتاً يذكر ، لأنني لا أنسى أن الله سبحانه أمرنا بأن نقضى صلاتنا وهي أم العبادات ، ثم نتشر في الأرض في طلب الرزق ، ومن عجب بعد ذلك أن تجد الكثيرين من المسلمين يرجون من الله أن يرزقهم وهم قعود مكافأة لهم على الصلاة والصيام ، وقد فاتهم أن العبادات شيء وطلب الرزق شيء آخر ، حقاً إن العبادات توجهك إلى طلب الرزق في الطريق السليم ، ولكن الله سبحانه يرزق كل إنسان على قدر عمله ، حتى لو كان كافراً ، وما أنت ذا ترى الأرزاق الواسعة التي يملكها الكفار في أيامنا هذه ، وإنه لمن العار علينا نحن المسلمين أن نرضى بهذه الأوضاع التي نعيش فيها ، ولو رأنا رسول الله ﷺ على هذه الحال لما رضى عنا قط ، لأن رسول الله كان يرى أن الإيمان والعزة صنوان ، والمؤمن يعزه إيمانه ، وكذلك عمله ، وقد أشرت فيما سبق إلى الآية الثامنة من سورة « المنافقون » التي تقول : ﴿ والله العزة لرسوله وللمؤمنين ﴾ وقلنا إن الله سبحانه وتعالى يعطى رسوله الأمين والمؤمنين الصادقين جانباً من عزته ، والعزة معناها هنا القوة والغنى وارتفاع الشأن ، ولو أنا كنا مؤمنين بالإسلام حق الإيمان لكننا أعزّه بهذا الإيمان ، وقد كان رسول الله يعز نفسه وأصحابه بالعمل ، وقد أخطأ القدامى عندما قصروا العمل على العمل الديني أي القيام بالعبادات ، مع أن الأعمال الصالحة تشمل العبادات وكل عمل يؤتى الإنسان خيراً في هذه الدنيا ، وكان رسول الله آية في الاجتهاد والعمل ، وكذلك كان أبو بكر وعمر بن الخطاب ، وإن الإنسان لا يصدق أن أبا بكر وأصحابه معه استطاعوا القضاء على المتنبئين والمرتدين ، وإعادة وحدة الأمة في أقل من عام ، وأنا أعجب بالكثير جداً في أبي بكر وعمر ، ولكن أكثر ما يستدعي الإعجاب فيها هو ذلك العمل المتصل لما فيه خير المؤمنين ، وكان عمر إلى جانب عباداته لا يكف عن العمل ، حتى إنه كان

ينفق الساعات في قراءة كتب القواد الذين يقومون بالفتوح ، ويعيد قراءة الكتاب أكثر من مرة ، ولكي يستوعب المعلومات التي يفضون بها إليه كان يرسم بعضاً صغيرة على الرمل خرائط المعارك لكي يتصور مواقف المسلمين تصوراً صحيحاً ، وفي بعض الأحيان نحس أنه مع القادة والجنود في المعارك ، وهذا لا يكون إلا بجهد فكري بالغ .

ومن أكبر أسباب انتصارات المسلمين الأول هو تمسكهم بالصدق الكامل في كل مايقولون . ورسول الله ﷺ كان يتحرى الصدق في كل شيء ، حتى في معاملته للكفار ، وكان الكفار والمنافقون يكذبون عليه ، وكان يعرف أنهم كذابون ، ولكنه مع ذلك كان لا يعاملهم إلا بالصدق . لأن الصدق قوة كبرى ، وإن أصحابه يصدقون معه في كل شيء ، وكان يقدر الناس على قدر صدقهم ، والقرآن الكريم امتدح الصدق ، وحث المؤمنين عليه ، ومن أسف أن أمم الإسلام في العصور الماضية نسيت الصدق ، وتعاملت بالخداع والكذب ومن منتصف العصر الراشدي دخل الكذب حياة المسلمين ، ومع الكذب دخل الفقر والضعف ، وقد رزق الله أمة الإسلام في عصر الفتوح من الأموال مالم يكن يخطر على بال مسلم ، ولو أن أمة الإسلام شكرت الله سبحانه بالصدق في المعاملة لما نزلت بها مذلة أبداً . وقد عرف عمر بن الخطاب فضل الصدق ، وحث الأمة على التزامه . وإذا نحن قرأنا خطاباته إلى عماله وقادته تبيننا أن عمر ابن الخطاب وجيله من الصحابة قد بلغوا ما بلغوا من النصر والسيادة بفضل ما آتاهم الله من الإيمان العميق بالله وحرصهم على الفضائل ، وإن الإيثار العميق والتمسك بفضائل الإسلام كان في الحقيقة سبب تلك القوة الهائلة التي جعلتهم أقوى من أي عدو لقيهم مهما كان سلاحه . فاقراً مثلاً الكتاب التالي الذي بعث به عمر بن الخطاب إلى قادته في معركة اليرموك ، والخطاب وارد في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري قال : عن سماك قال : سمعنا عياضاً الأشعري قال :

شهدنا اليرموك وعلينا خمسة أمراء : أبو عبيدة من الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعياض - وليس عياض هذا بالذى حدث سهاكاً - قال : قال عمر : إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة : قال : فكتبنا إليه : إنه قد جاش إلينا الموت [ يريد أن الأعداء تجمعوا عليهم وهو يخشى أن يقضوا على المسلمين ] واستمددناه . فكتب إلينا : إنه جاءنى كتابكم تستمدوننى ، وإنى أدلكم على من هو أعز نصرأ وأحضر جنداً : الله عز وجل ! فاستنصروه . فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدر فى أقل من عدتكم ، فإذا أتاكم كتابى هذا فقاتلوهم ولا تراجعونى ! قال : فقاتلناهم فهزمتناهم ) .

فانظر إلى هذا الرجل العظيم ثقته فى الله وإيمانه الذى لا يتزحزح بأنه سبحانه ناصر من ينصره ، وهو يقول لرجاله وهم يواجهون الموت فى معركة دامية : لا تستنصرونى أنا ، فإننى لا أملك لكم نصراً ، ولكن استنصروا الله سبحانه ، فهو العزيز ذو القوة ، وهو أعز نصراً وأحضر جنداً ، ثم يضرب لهم المثل الخالد : مثل انتصار رسول الله وأصحابه يوم بدر وقد كانوا أقل عدة من المسلمين يوم اليرموك ، ولكنهم كانوا أعزة بإيمانهم ، وهم عندما آمنوا بالله إيماناً صادقاً أعطاهم جل جلاله جانباً من عزته ، فإن العزة لله وحده ، وهو يهب منها ما يريد للمؤمنين الواثقين ، وتصبح العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ثم ينصح رجاله باستنصار الله سبحانه ويقول لهم : إنه لن يرسل إليهم أحداً فعليهم لقاء العدو دون أن يراجعوا عمر ، ففعلوا ونصرهم الله النصر المؤزر ، وإنا نصرهم الله بإيمانهم العظيم . وتلك هى الروح التى ينبغى أن يواجه المسلم بها مشاكله ، فهى مهما عظمت لا تثبت للإيمان الصادق ، وهذا هو الذى ينقصنا اليوم ، فنحن اليوم نقف عاجزين أمام المشاكل ، لأن قلوبنا فى الحقيقة خالية من الإيمان الحقيقى .

وفى خطاب آخر من عمر إلى سعد بن أبى وقاص يقول : ( إني قد ألقى

في روعى أنكم إذا لقيتم العدو هزتموه ، فاطرحوا الشك وآثروا التقية عليه .  
فإن لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان ، أو قرفه بإشارة أو لسان كان  
لا يدري الأعجمى ماكلمه به ، وكان عندهم أماناً ، فأجروا ذلك مجرى الأمان .  
وإياكم والضحك . العرفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية . وإن الخطأ بالغدر  
الهلكة ، وفيها وهنكم وقوة عدوكم وذهاب ربحكم وإقبال ربحهم . واعلموا أني  
أحذركم أن تكونوا شيئاً على المسلمين وسبباً لتوهينهم .

وهذا الخطاب القصير من عمر بن الخطاب إلى قائده سعد بن أبي وقاص  
يضم من جلائل الفضائل الإسلامية التي تميز بها هذا الرجل العظيم وجيله ما هو  
جدير منا بأن نفضله تفصيلاً ، فإنني لا آتي بهذه الأمثلة رغبة مني في مجرد  
التمدح بالماضي كما يفعل الكثيرون منا ، وإنما أنا أريد منك أن تقف منه على  
جوانب القوة والعزة التي يودعها الإسلام في قلوب المؤمنين الصادقين به ، وإليك  
تفصيل الحكمة العمرية التي ضمنها هذا الرجل في خطابه قائلاً لسعد : إنه  
يخس إحساساً عميقاً بأنهم إذا لقوا العدو هزموه . ولهذا فهو يوافقهم بنصائحه  
التي ينبغي أن يسيروا عليها بعد النصر حتى يستمروا منصورين إن شاء الله .

فعليهم ألا يشكوا أبداً في أن الله ناصرهم ، وبدلاً من الشك فإن عليهم أن  
يملثوا قلوبهم بتقوى الله . والتقوى هنا ليس معناها التقية أى الخوف من الله .  
فإن المؤمن الحق يحب الله ، وهو عندما يقول إنه يخافه يريد أن يقول إنه يحبه ،  
فكان عمر يقول لهم : إن خير مايفعلونه هو أن تمتلىء قلوبهم بمحبة الله فيؤتيهم  
سبحانه النصر والعزة .

وعمر يعلم أن المسلمين بعد أن يكسروا قوة الفرس ويبددوا جيوشهم ،  
تفتح البلاد أمامهم ويصبح العجم من أهل العراق وفارس وجهاً لوجه مع  
المسلمين ، وهؤلاء الأعاجم خضعوا لطواغيت الفرس سيسارعون بإعلان

طاعتهم للمسلمين أملاً في أن يجدوا العدل عندهم . ولكن أولئك الناس لا يعرفون العربية ، ولا العرب يعرفون العجمية ، ولهذا فإن تفاهم العرب مع الأعاجم سيكون بالإشارة ، وستصدر عن أولئك الناس إشارات باليد ، أو ستصدر عنهم كلمات معناها أنهم يريدون الأمان مع العرب ، فعلى العرب أن يعتبروا أى إشارة تصدر من أولئك الناس ، ومعظمهم فلاحون في القرى ، طلباً للأمان ، وواجب العرب أن يؤمنوهم في الحال .

ثم يحذر عمر المسلمين من الضحك والسخرية بالناس ، فإن أولئك الناس عانوا من ظلم حكام الفرس الكثير ، ولهذا فإن الفزع سيصيب الكثيرين منهم ، فتصدر عنهم أعمال فيها بعض ما يضحك ، وحذار من الضحك في أمثال هذه المواقف ، فإن معناه أن العرب يستخفون بالناس ، وهذا الاستخفاف بالضعفاء الخائفين ليس من أخلاق المسلمين ، ولهذا فإن عليهم احترام أولئك الناس وإقناعهم بالتصرف الحسن الكريم . إنهم يمثلون الإسلام ، وهو جامع فضائل الإنسانية ، وفيه عز لكل من دخل فيه .

ثم يأمر عمر المسلمين بالوفاء ، لأن الوفاء فضيلة إسلامية وإنسانية ، والمسلم الصادق لا يمكن إلا أن يكون وقياً .

وحتى لو كان الوفاء خطأ ، وتبين بعد ذلك أن أولئك الناس الذين وفى لهم كانوا مخادعين ، فإن وفاء المسلمين بعهودهم فيه بقاؤهم معها كانت النتائج .

وإذا أخطأ المسلمون وغدروا كان في ذلك هلاكهم ، والغدر ضعف غير لائق بالمسلمين ، وفيه ضعفهم وقوة عدوهم .

وإذا غدر المسلمون بالناس انهزموا بعد ذلك ، وذهبت ریحهم ، وانتصر عليهم الأعداء وأقبلت ریح أولئك الأعداء .

ثم يحذر المسلمين من مغبة الغدر والخيانة ، ويرجوهم ألا يكونوا عاراً على

أمة الإسلام وسبباً من أسباب ضعفها .

فانظر والله إلى هذا العقل العمري العظيم الذى أعزه الله بالإيمان ، وفاض قلبه بالعزة ، حتى ليبلغ من روح الجد عند هذا الرجل أن يقول للمسلمين إنهم إذا لم يكونوا صادقين معتزين بدينهم متمسكين بفضائله ، ذهب أمرهم وغلبهم غير المسلمين .

وقد تحدثت فى بعض فصول هذا الكتاب عن الإسلام والعلم وقلت : إن المسلم الحق لا يصح أبداً أن يكون جاهلاً ، فإن القرآن علم ، والإسلام علم ، والعلم هو قوة الإسلام الكبرى ، وسأتيك الآن بخطاب من عمر بن الخطاب تتبين منه حرصه على العلم ، وهو فى هذا الخطاب لا يطلب أى علم ، بل يريد العلم الدقيق المفصل حتى يتصرف على ضوء هذا العلم .

كتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص يقول : أما بعد . . فتعاهد قلبك ، وحادث جندك بالموعظة والقوة والحسبة ، ومن غفل عنهما فليحدثهما ( أى أن المسلم إذا أحس أنه غفل عن الموعظة والقوة واحتساب أعماله كلها فى سبيل الله فليذكر نفسه بذلك وليعد إلى الإيمان السليم ) والصبر الصبر ! فإن المعونة تأتى من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ، والحذر الحذر . . على ما أنت عليه وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية وأكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله . واكتب إلى أين بلغ جمعهم ؟ ومن رأسهم الذى يلى مصادمتكم ؟ فإنه قد منعى من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمى بما هجمتهم عليه ، والذى استقر عليه أمر عدوكم ، فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كأنى أنظر إليها ، واجعلنى من أمركم على الجلية ، وخذف الله وارجه ولا تدل بشيء ، واعلم أن الله وعدكم ، وتوكل لهذا الأمر ( أى للإسلام ) بما لا خلف له ، فاحذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم .

فعمر هنا يعتمد في تصرفه على خصلتين إسلاميتين أساسيتين : الإيمان الكامل بالله سبحانه ، ثم بالعلم ، وهو هنا لا يطلب من سعد بن أبي وقاص أي علم ، بل العلم الكامل بالجبهة وما فيها ، فهو يطلب إلى سعد أن يصف له البلاد التي يحارب فيها وصفاً بالغ الدقة ، صفة كأنه ينظر إليها ، ويجعله من أمرهم على الجلية ، وهو هنا يطلب تقريراً مفصلاً يتصرف على ضوئه ، وعمر هنا يتحدث بلسان رجل من أبناء عصرنا وهو عصر العلم ، وهو يعلم أن النجاح في الحياة لا يكون إلا بالجد البالغ والعلم الدقيق ليكون التصرف على أساس من العلم ، وهو يحذر المسلمين في آخر خطابه ألا يتخلوا عن الإيمان الصادق الكامل ، لأنهم إذا فعلوا ذلك انصرف عنهم الله سبحانه ، ونظر إلى قوم غيرهم .

ونحن اليوم نعيش في عصر الإيمان والعلم ، ولا يقعن في بالك قط أن الأمن القوية السائدة في عصرنا غير مؤمنة ، إنهم يؤمنون بأنفسهم وبما يعلمون ، والروس الذين نقول إنهم لا يؤمنون بالله ، يؤمنون بأشياء ثلاث لا شك عندهم في أنها أساس قوتهم ومصدر عزهم وسبب المكانة الرفيعة التي يتمتعون بها في عصرنا .

فهم يؤمنون بروسيا وطنهم إيماناً لا يصدق : وأمة الروس كلها مستعدة للموت في سبيل شبر واحد من أرضهم ، ومساحة روسيا الشاسعة محاطة في كل جانب بالجيوش والأسلحة والحصون والجنود الذين يقفون وراء الحدود جادين كل الجد ، وفي أي ساعة من ساعات الليل والنهار مررت بحدود روسيا رأيت الجنود من ورائها على الأهبة ، وقد حدث من ثلاث سنوات أن طائرة من كوريا أخطأت واجتازت المجال الجوي الروسي ، فأسقطت في الحال دون رحمة .

وقد رأيت في لندن فيلماً تسجيلياً عن روسيا صوروا فيه الحدود وما وراءها

من الجيوش والجنود والأسلحة ، وما يدلك على أن هؤلاء الناس يأخذون الحياة بجد لا نعرفه نحن . وهم يحدثوننا بأن الروس يعيشون في ضنك في بلادهم ، وهذا غير صحيح .

فكل الروس فخورون اليوم بالقوة التي وصلت إليها بلادهم ، وأنت ترى شبابهم في ملاعب الرياضة يتهاكفون في الفوز بالمراتب الأولى في كل لعبة ، وهم يصلون إلى الميداليات الذهبية والفضية بصورة تستوقف النظر ، بينما العالم العربي كله لا يفوز إلا بأشياء لا تذكر ، وقد دعونا في روسيا إلى ناد رياضي يتدرب فيه الشبان ، فتعجبنا من الجدية والإخلاص والتفاني ، وسألنا إن كان أولئك الشبان - ما بين بنين وبغات - يعفون من شيء من مطالب الدراسة في مقابل هذه الجهود التي يبذلونها في التدريبات الرياضية ، فعلمنا أن أولئك الرياضيين يقومون بدراستهم قياماً كاملاً لا يعفون من شيء منها ، وأن الذي يدفعهم إلى هذا الاجتهاد هو حبهم لوطنهم الروسي .

**والامر الثاني الذي يؤمنون به هو العلم :** فإن المدارس والجامعات والمعاهد الفنية والتكنولوجية في روسيا تقوم بعملها على الوجه الأكمل ، وهم لا يدللون أولادهم أو شبابهم على النحو غير المقبول الذي نعمله نحن ، فنحن نفضل أولادنا على أوطاننا ، أما هناك فإن الوطن والعلم أفضل من الأولاد ، وليس عندهم سقوط ولا ملاحق ، وإنما يفرغ الولد من المدرسة الابتدائية ، ويتجه بعد ذلك إلى المرحلة الوسطى ، التي تقابل الإعدادية عندنا ، وهناك يوضع تحت الاختبار ، فإذا استطاع أن يسير في سنوات المرحلة الوسطى كان بها وسمحوا له بدخول الثانوية ، وإلا فيأثم من تلقاء أنفسهم بحولونه إلى معهد صناعي أو زراعي ، وبعضهم ينقل إلى مراكز تدريب فنية ، فيتدرب على نوع من الأعمال والدراسات الفنية في الزراعة أو الصناعة ، والمزارع هناك كلها متطورة تعمل بالآلات ، والأولاد الذين يعجزون عن السير في الدراسة الوسطى أو

الإعدادية ، يتدربون على أعمال الزراعة والرعى وتسيير الآلات الزراعية ، وذلك التوجيه لا يضايقهم فى شىء ، فإنهم هناك يريدون أن يعملوا فى الميدان المناسب للمكاثم ، فهناك يشعرون بالراحة والاطمئنان ، ولا فرق عندهم بين عامل وطالب ، وكلهم يعرفون ذلك ويعملون على أساسه ، بل إن شباب المزارعين فى القرى والمزارع أحسن حالاً من طلاب المدارس ، والفروق الاجتماعية موجودة ولكن أهميتها قليلة ، والعمال فى المزارع يتدربون ويجدون الطعام بين أيديهم ، ثم إنهم لا يجدون صعوبات فى العثور على المساكن ، إنهم يعملون فى جد خالص ، ولا ينفقون وقتهم فيما لا يفتى ، إنهم يعرفون أن الشىء الوحيد الذى يفتى فى هذه الدنيا هو العمل النافع لهم ولغيرهم ، من هنا هم يشعرون أنهم أعزة ، وأنهم أقوياء .

### والأمر الثالث الذى يؤمنون به هو العمل النافع لوطنهم :

إننى لم أضرب هذا المثل لأقول إنهم أحسن أو أكثر نجاحاً منا أو من غيرنا إن الذى أريد أن أقوله أنهم يعرفون كيف يعيشون ، وهذا هو الذى أطلب أولادنا به : أن يتعلموا كيف يعيشون بالعمل الشريف ، لأن الطريقة التى نعيش بها لا تفتى ولا تنفع ولا تعيننا على الوصول بالإسلام إلى المكان الذى يستحقه ، لقد أرسل الله إلينا محمداً ﷺ بالإسلام لكى نغزبه ونغنى ونقوى ، فقد أودع الله فيه - كما رأيت - كل عناصر الخير اللازمة للإنسان ، وأجبالنا الأولى وصلت بالإسلام إلى أعز مكان وصل إليه قبلهم بشر ، فكيف هبطنا إلى الدرك السحيق الذى نحن فيه اليوم ؟

وصلنا إلى هذا الدرك لأننا أهملنا العمل الصالح ، والعمل الصالح يتضمن العبادات التى هى الخيط الممدود بيننا وبين الخالق سبحانه ، وتطبيق الشريعة - وهى قانون الله للبشر - والسعى للرزق الحلال أو التعامل فى المال

بالأخلاق الإسلامية . . لا ربا ولا استغلال ولا إسراف ولا تقدير ، وتقديم المال إلى الفقير المحتاج دون نظر إلى جزاء إلا من الله سبحانه ، وبعد ذلك كله علينا - نحن المسلمين - أن نتعلم العمل معاً ، فإننا فرديون أنانيون لا يجب الواحد منا إلا نفسه ، ولا ينفق إلا على أهله ، ونحن لا نعيش في بيوتنا عيشة فاضلة جماعية : الرجل يجب امرأته ويحترمها ويعاملها بالفضل والعدل والإنصاف - و الأب يربي أولاده على العزة والكرامة وحب العمل واحترام النفس والغير والتعاون مع الآخرين .

ولأننا فرديون أنانيون فقد استغلنا الأقوياء وسادونا وظلمونا ونهبونا ، ولأنهم نهبونا فقد افتقرنا وتعدونا الفقر وعشنا به وعليه ، ولم نعد نخجل منه ، ولا عيب في أن يولد الإنسان فقيراً ، ولكن العيب في أن يموت فقيراً دون أن يصيبه مرض - مثلاً - يقعد به عن العمل . والله خلق الدنيا للعاملين ، وبث فيها الخيرات ، للمجتهدين ، ومن عجب أن أهل الأديان الأخرى كلها عرفوا أن العمل الجيد المتقن هو طريق الخير والفلاح في هذه الدنيا ، فدرسوا علوم الحياة التي أمرنا الله نحن المسلمين بدراستها فلم ندرسها ، وخاضوا معارك الحياة غير هيايين .

وانظر إلى الخريطة ترى أن المسلمين لا يسودون إلا جزءاً ضئيلاً من هذه الأرض . لا نسبة إطلاقاً بينهم وبين الأنجلوسكسون - وهم الإنجليز والأمريكيون - أو الروس واليابانيين أو الألمان والفرنسيين ، وهذا والله عار ، لأن القرآن يقول إن العزة لله جميعاً ولرسوله وللمؤمنين ، فأين العزة أيها المسلمون ؟

إن الإنسان إذا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، دخل عالماً واسعاً من الحضارة والرقى ، لأن الإسلام يفتح الباب بينك وبين رب العزة ، ورب العزة بيده مفاتيح الرزق والخير ، فاذكر هذا ولا تنسه أبداً ، فإن الإسلام هو طريقك المنير للخير والكسب وسعادة الدارين ، وقرأ سيرة المصطفى ﷺ

تأكد من ذلك .

لقد قلت في هذه الدراسة الكثير من تفصيل الجوانب الحضارية للإسلام عقيدة وشريعة ومكارم أخلاق ، وفيما قلت كفاية لمن آمن وألقى السمع وهو شهيد ، ومن لم ينفع معه هذا القدر من الكلام لم ينفع معه أى كلام ، فإن أبا بكر الصديق أصبح واحداً من أعظم بناء التاريخ بالإيمان والعلم والعمل ، وليس هذا بالعسير على أى مسلم يريد أن يسير في طريق الخير ويصل إلى ما يشاء الله في الخير ، والله سبحانه معك في كل طريق خير ، فاختر لنفسك ما تريد .

